كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

College of Sharia & Islamic Studies

مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

Journal of College of Sharia & Islamic Studies

نصف سنوية – علمية محكمة

Academic Refereed – Semi-Annual

ISSN 5545 – 2305

المجلد ٣٤-العدد ٢ – خريف ١٤٣٨هـ / ٢٠١٦م

Vol. 34- No.2, 2016 A / 1438 H

"أثر المؤلفات الحديثة للسيرة النبوية في صياغة مناهج الدعوة المعاصرة "

تأليف

د. بسيوني نحيلة

أستاذ المساعد – قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة قطر

ملخص:

السيرة النبوية من أهم المراجع الأساسية التي تعتمد عليها الدعوة الإسلامية، ففيها يجد الداعية التطبيقات الحية لمراحل الدعوة المختلفة، ويتعرف على أهم الوسائل والأساليب الدعوية التي اتبعها النبي ﷺ من أجل نشر الدعوة وتبليغها. وتهدف الدراسة إلى إثبات عمق العلاقة بين الدعوة والسيرة وأثر الأخيرة في صياغة منهجيات الدعوة المعاصرة، وذلك من خلال مناقشة أهم الآثار الفكرية التي ساهمت بها بعض مؤلفات السيرة النبوية في العصر الحاضر. ولقد اقتصرت الدراسة على المؤلفات المعاصرة للسيرة النبوية بجميع أنواعها التحليلية، والموضوعية ...وغيرها. وقامت بإبراز المناهج الدعوية التي تتبنها الدعوة في العصر الحاضر، وتعد من آثار الكتابات المعاصرة للسيرة النبوية. واعتمدت الدراسة على المنهج الاستنباطي التحليلي، المبني على البحث، والمناقشة، والتحليل النقدي، الذي ينتهي باستخلاص القواعد والمفاهيم ذات الصلة بموضوع البحث. ولقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات من أهمها: بيان أثر الكتابات المعاصرة للسيرة في إنضاج كثير من المناهج الدعوية وتفعيلها على مستوى الدعوة والدعاة، وبخاصة في جعل مفهوم الإعداد والتربية والتأهيل مرتبطاً بالدعوة والدعاة نظرياً وتطبيقاً. وأوصت الدراسة بضرورة اهتمام دعاة العصر بالسيرة دراسة وتطبيقا وتأليفاً بما يخدم الدعوة المعاصرة ويعمل على تطوير أدائها وتنمية أفرادها، ولابد أن تشجع المرأة الداعية على خوض ساحة التأليف في موضوعات السيرة، ففي ذلك إسهام دعوي يفيد في رد الشبهات والافتراءات حول المرأة في العصر الحاضر.

Abstract:

The prophetic Biography(Seerah) is one of the most significant Dawa reference, in it, you find the practical stages of Dawa and the most effective ways and methods that the prophet had practiced with his people. The study attempts to prove the ties and the relations between Seerah and Dawa in the contemporary context through the modern Seerah published Books, and explain the impact of those publications on the new methodologies that The current Dawa cannot flourish and achieve its goals in the world today without being connected with Seerah events and the analyses and reflections of its knowledgeable and moderate authors whom they tackle Seerah with its applications that can help guide the Callers to understand Islam comprehensively and spread it to all humankind efficiently; thus the study recommends that the Callers should give more care to Seerah by studding it for themselves and others and also encourage the Female Callers to start writing about the Seerah so they can represent Islam in a different approach that can refute most of the contemporary misconceptions about women in Islam.

مقدمة

تعد السيرة النبوية من أهم المراجع الأساسية التي تعتمد عليها الدعوة الإسلامية في كل زمان ومكان، وبخاصة في الجانب العملي منها، ففيها يجد الداعية التطبيقات الحية لمراحل الدعوة المختلفة مع جميع أصناف المدعوين، كما يتعرف من خلالها على الوسائل والأساليب الدعوية المتنوعة التي سلكها الداعية الأول ﷺ من أجل نشر الدعوة والتعريف بها. ولقد تأثرت كتابات السيرة النبوية -في طرق تناولها ودراسة أحداثها-بالظروف والأحوال التي عايشتها الأمة، ومرّ بها كتّاب السير عبر التاريخ، تماماً، كتأثرها بالطبيعة البشرية، والخلفية المعرفية، والتجربة الشخصية لكتاب السيرة ومحلليها.

ومن هنا يرى الباحث المتخصص في الدعوة الإسلامية أن هناك أثراً إيجابياً -مباشراً وغير مباشر-لكثير من مؤلفات السيرة الحديثة في تشكيل وبناء منهجيات دعوية متنوعة، أفرزتها أحداث السيرة عند تناولها بعين الواقع المعاصر بما يحمل من متغيرات ومستجدات، وأنضجها الفكر الإسلامي المتوازن، وصهرتها كثير من التجارب الدعوية المعاصرة والمحن والعقبات المتتالية.

وأول ما يستبينه الباحث المتفحص هو أن بعض هذه المنهجيات ساعد على النهوض بمستوى الدعوة في الفهم والأداء، وأعان في إعداد الداعية وبناء شخصيته المعاصرة، كما حفظ الدعوة والدعاة من بعض المزالق والانحرافات الفكرية التي كثيرا ما تؤثر في عملية التطبيق، مما أحدث نوعاً من التوازن والاعتدال تجاه بعض كتابات السيرة التي لم توفق في رسم صورة الدعوة وعرض ملامحها، فضيقت فيما يحتمل التوسع، وتشددت فيما أصله التيسير؛ مما أضر بالدعوة ونموها أكثر من نفعها.

أسئلة البحث:

تحاول الدراسة التي بين أيدينا أن تجيب عن عدة تساؤلات من أهمها ما يأتي:

- ما أهم ملامح مؤلفات السيرة النبوية الحديثة؟ وما علاقتها بالدعوة المعاصرة؟
- ما أثر كتابات السيرة المعاصرة، التي اهتم كاتبوها بالإسقاطات الدعوية على واقع الدعوة المعاصرة؟
- كيف كان لتحليلات السيرة وإسقاطاتها أثر في صياغة المناهج الدعوية المعاصرة؟
- ما أثر المنهجيات الدعوية المستخلصة من الكتابات المعاصرة للسيرة على حركة الدعوة وتطوير أدائها في العصر الحاضر؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة -إجمالاً-إلى تحقيق عدة أهداف على مستوى الأداء الدعوي، وعلى مستوى تطوير كتابات السيرة المعاصرة باعتبارها من أهم مصادر الدعوة. من هذه الأهداف ما يأتي:

- بيان العلاقة الوطيدة بين الدعوة المعاصرة والسيرة النبوية في كون الأخيرة مصدراً أصيلاً لكيان الأولى.
- بيان بعض إسهامات مؤلفات السيرة النبوية الحديثة في بناء منهجيات الدعوة المعاصرة وتشكيلها.
- جذب انتباه المهتمين بالدعوة المعاصرة إلى أهمية الاعتماد على السيرة النبوية في تأصيل مبادئ الدعوة وتطوير وسائلها؛ بما يناسب احتياجات المعاصرة.

- تشجيع المتخصصين في علم الدعوة على القيام بدراسات أكثر عمقاً في السيرة النبوية، تربط بين حاضر الدعوة وماضيها العتيق، كما تعمل على استشراف مستقبلها المنشود.

حدود البحث:

ليس هناك حصر دقيق لمؤلفات السيرة النبوية بشكل عام، فهي في زيادة متواصلة، ولكن ما يمكن تأكيده هو أن موضوع السيرة النبوية يُعد من أكثر الموضوعات التي أُلف فيها قديماً وحديثاً؛ ولذا كان من الضروري أن يكون هناك إطار واضح لتحديد مسار الدراسة التي بين أيدينا، وبيان ذلك فيما يأتي:

- تقتصر الدراسة على المؤلفات المعاصرة للسيرة النبوية بجميع أنواعها التحليلية، والموضوعية ...وغيرها.
- تكتفي الدراسة ببعض النماذج لكل نوع من هذه المؤلفات، بما يخدم الفكرة المطروحة، ويعمل على تأكيدها، ولا تشترط الحصر والإحاطة.
- تهتم الدراسة بإبراز المناهج الدعوية التي تتبنها الدعوة في العصر الحاضر، وتعد من آثار كتابات السيرة في العصر الحاضر بما فيه من مستجدات ومتغيرات.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات القديمة والحديثة في السيرة النبوية رواية، وتحليلاً، وكذلك في مصادرها ومناهج تناولها، وكذلك الحال بالنسبة للدعوة المعاصرة ومناهجها، فهناك كتابات كثيرة تناولت الدعوة وأركانها بالتفصيل، أما عن تحليل بعض كتابات السيرة الحديثة وربطها بالدعوة المعاصرة من حيث التأثر والمنهجية، فلم أرى بحثاً أو مؤلفاً

اهتم بهذه الجزئية تحديداً، إنما يمكن أن تكون هناك بعض الإشارات والمنثورات بين طيات بعض مؤلفات السيرة أو الدعوة، ولكن على سبيل الاستشهاد أو الوصف؛ ولذا فإن الباحث يرى أن موضوع الدراسة التي بين أيدينا يعد جديداً في طرحه ومادته، ويأمل أن يحقق أهدافه في وصل الدعوة المعاصرة –من حيث الدراسة المنهجية– بمؤلفات السيرة التي تعتمد على النظرة الواقعية والتحليل وفق المستجدات والمتغيرات في ساحة الدعوة في العصر الحاضر.

منهج البحث:

تعتمد الدراسة على المنهج الاستنباطي التحليلي، المبني على البحث، والمناقشة، والتحليل النقدي، الذي ينتهي باستخلاص القواعد والمفاهيم ذات الصلة بموضوع البحث، وذلك من خلال جمع المادة العلمية والأدلة من المصادر الأصيلة والحديثة، ثم إسقاطها على موضوع الدراسة من أجل الوصول إلى مفاهيم وإجابات تعالج مشكلة البحث، وتحقق أهدافه.

مصطلحات البحث:

يقصد الباحث –إجرائياً–بمؤلفات السيرة النبوية الحديثة هذه الكتابات المعاصرة التي تُعنى بتناول حياة النبي ﷺوطريقته في الحياة، فيما يتعلق بالأحداث والمواقف والمتغيرات التاريخية المختلفة في زمانهﷺ. وكلمة(الحديثة) جاءت هنا لتحديد الوقت الزمني لهذه المؤلفات، فليس المقصود من الدراسة المؤلفات التراثية القديمة في السيرة النبوية، إنما المقصد هو الكتابات التي ألفها مؤرخو العصر الحاضر وعلماؤه، ولاشك أن كل عصر يصنع علماءه، وأن علماء كل عصر معنيون بعصرهم وما يطرأ عليه من مستجدات وتغييرات.

ويقصد الباحث بمناهج الدعوة المعاصرة[1]: الطرق الحديثة الواضحة التي تعتمدها الدعوة المعاصرة في نشر الإسلام، والتربية عليه، والإعداد لحمله، ونقله للعالمين. والحديثة في هذا التعريف: تشير إلى عصرية المناهج ووصف هذه المناهج بالمعاصرة يفيد أنها من صناعة العصر الحاضر، من حيث التبني والتطبيق لها في الجانب النظري والعملي. وتأتي هذه المناهج الدعوية المعاصرة ثمرة لجهود التأليفات والكتابات الحديثة للسيرة النبوية. وبناء على ذلك يتحقق تشكيل هذه المناهج الدعوية في فكر الدعاة المعاصرين ويظهر من خلال تحركهم بالدعوة في الميادين المتعددة.

خطة الدراسة:

تأتي خطة الدراسة في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة

- **المقدمة:** وتشتمل على بيان عام لموضوع البحث، والأسئلة التي سيجيب عنها، وكذلك الأهداف والدراسات السابقة، بالإضافة إلى بيان المنهجية المتبعة والمصطلحات الإجرائية الأساسية للبحث مع بيان خطته.
- **المبحث الأول:** الملامح العامة لمؤلفات السيرة النبوية الحديثة
- **المبحث الثاني:** علاقة الدعوة المعاصرة بالسيرة النبوية ومؤلفاتها
- **المبحث الثالث:** مناهج الدعوة المعاصرة من خلال مؤلفات السيرة النبوية الحديثة
- **الخاتمة:** تشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

(١) يراجع في ذلك: تذكرة الدعاة، البهي الخولي، صـ٣٥، وأيضا: رءوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، صـ ٣٨.

المبحث الأول

الملامح العامة لمؤلفات السيرة النبوية الحديثة

بالنظر إلى أهم كتابات السيرة وأبرزها على الساحة المعاصرة، من ناحية: الانتشار الواسع والانتفاع بها في محيط الدعوة والدعاة، يلحظ الباحث أن هناك مجموعة كبيرة من المؤلفات المتميزة بقيمتها الفكرية والتربوية، وبتنوع الدوافع، وطرق الصياغة، والتنسيق، والعرض. ولاشك أن ذلك يُعد إثراء وإضافة معاصرة في موضوع له منزلته وأهميته في حياة المسلمين عامة، وفي واقع المتخصصين الأكاديميين في دراسة الإسلام وفروعه بشكل خاص. هذا بالإضافة إلى اهتمامات كثير من غير المسلمين الأكاديميين وغيرهم بموضوع سيرة النبيﷺ، فنجد منهم من يبحث عن مؤلفات السيرة الحديثة، ليتعرف من خلالها على حقيقة الإسلام ورسوله من وجهة نظر علماء المسلمين المعاصرين.

وقبل الحديث عن أثر هذه المؤلفات في صياغة وتشكيل بعض مناهج الدعوة في العصر الحاضر، يجدر بالباحث أن يتناول أهم الملامح العامة لهذه المؤلفات من حيث طبيعتها وطرق تناولها لسيرة النبي ﷺ، فذلك مما يعين على بيان الأثر الذي تهدف الدراسة لإظهاره في المناهج الدعوية المعاصرة.

وتأتي هذه الملامح العامة في خمسة عناصر، بيانها كالآتي:

أولاً: المؤلفات الروائية للسيرة

المقصود بالروائية: أي المؤلفات التي تُعنى بالرواية ونقلها دون تصرف، إلا ما كان في الترتيب والعناوين في بعضها. والرواية -بشكل عام-هي الرابط الوثيق الذي يربط الجديد بالقديم، والحاضر بالمستقبل. وهي أيضا الوعاء الآمن الذي يحفظ

الحقائق والأحداث من الضياع والانحراف أو التحريف. يقول الطبري: "العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادثين، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول، والاستنباط بفكر النفوس"(٢). ولأن سيرة النبي ﷺ تمثل جزءا أصيلاً من الدين الإسلامي في جانبه العملي؛ لما تحويه من أخبار وأحداث تتعلق بجملة من أفعاله وتصرفاته وقراراته، وجدنا الأوائل يهتمون برواية كثير منها وفق قواعد المتن والسند المعتمد في رواية الأحاديث بشكل عام. ومن أجل هذا أصبحت الرواية بضوابطها الدقيقة المعروفة عند المحدثين هي الأساس في نقل كثير من أحداث السيرة النبوية، وأصبحت كتب السنة النبوية مرجعاً أصيلاً، ومصدراً أساسياً لرواية وقائع السيرة النبوية وكتابتها. ولأن السيرة النبوية تضم -أيضا-أحداثاً تاريخية مرتبطة بالزمان والمكان، والأحداث، والأشخاص، جاءت روايات المؤرخين لتكون مصدراً آخراً من مصادر الرواية والنقل بين المؤلفين والكتاب.

وقبل روايات المحدثين والمؤرخين، يأتي القرآن الكريم ليضع المعالم الجوهرية، والخطوط الأساسية لأهم أحداث سيرة النبي ﷺ ولخريطة وقوعها؛ ولهذا كان القرآن الكريم هو المرجع الأول لرواية أحداث السيرة، كما أنه القالب المعياري الأساسي الذي عليه تُمحص الروايات الأخرى. وعلى هذا جاءت الرواية في كتب السيرة متضمنةً: نصاً من القرآن، أو خبراً من السنة، أو حكاية من التاريخ. وهذه الصور الثلاث للرواية تعد القاسم المشترك، الذي يجمع بين مؤلفات السيرة على مدار العصور. فلا سيرة بدون رواية وسند، والرواية هي عصب السيرة وعمودها.

(٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك(١/٨).

ولقد أخذت الرواية للسيرة في الكتابات المعاصرة عدة أشكال في التأليف: منها ما وافق القديم في النظم التقليدي المعروف، ومنها ما اتسم بالتطوير والابتكار والتخصصية في ترتيب وعرض المرويات والتثبت من صحتها. من ذلك: كتب السيرة المعاصرة التي اعتمدت على القرآن الكريم في كونه مصدرا ومحورا أساسيا في تقديم السيرة وعرضها. مثال: كتاب السيرة النبوية في القرآن الكريم، لعبد الصبور مرزوق(٣). ومنها الكتب التي اعتنت بجمع وترتيب وتخريج روايات المحدثين فيما يتعلق بأحداث السيرة. مثال: صحيح السيرة النبوية، لإبراهيم العلي (٤).

ومنها أيضا ما اهتم بتهذيب واختصار مؤلفات السير القديمة التي اعتمدت الرواية بالطرق المختلفة، مثال: تهذيب السيرة، لعبد السلام هارون(٥).

ولاشك أن هذا الجهد في التنسيق، والتحقيق، وإعادة الترتيب لرواية السيرة، يعد من التطورات والإنجازات التي تميزت بها كتابات السيرة المعاصرة، مما جعلها بين يدي العامة والخاصة من الدارسين والباحثين-والدعاة تحديداً- أدق ترتيباً، وأكثر توثيقاً، وأقل حشواً، وبالتالي، أسهل تناولاً.

ثانياً: المؤلفات الموضوعية للسيرة النبوية

والمقصود بها: الكتابات التي ترتكز على موضوع معين، يكون هو الأساس والدافع لعملية التأليف. ويكون دور أحداث السيرة -هنا- هو دعم هذه

(٣) ومثال ذلك أيضا كتاب: سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم، محمد دروزة.

(٤) ومثال ذلك أيضا: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله، وكتاب: صحيح السيرة النبوية، ناصر الألباني. وكتاب: السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري. وأيضا كتاب: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، محمد العوشن.

(٥) ومن أمثلة ذلك أيضا: نور اليقين في سيرة خير المرسلين، محمد الخضري.

الموضوعات، وإمداد كاتبها بمادة تعين على الاستنباط، وتحقق الإقناع والإمتاع. والكاتب هنا لا يهتم بالتسلسل الزمني للأحداث ولا بتغطيتها كاملة، إنما ينتقي من المواقف ما يعالج موضوعه، ويخدم فكرته.

والملاحظ أن حركة هذه المؤلفات الموضوعية للسيرة في العصر الحاضر قد اتسعت-وبخاصة في مجال البحوث والدراسات الأكاديمية-اتساعاً ملحوظاً، تميز بالعمق في التناول، والدقة في العرض، والتنوع في الموضوعات.

ومن أبرز أشكال هذه الكتابات الموضوعية للسيرة: ما عُنون بموضوع أساسي، يكون مرجعه ومادته أحداث السيرة النبوية. مثال ذلك: موضوعات التربية، القيادة، الأخلاق، التعامل مع الآخر، دور المرأة... وغيرها. من أمثلة ذلك: كتاب وقفات تربوية من السيرة النبوية، لعبد الحميد البلالي(٦).

ومنها أيضا: ما كان التركيز فيه على موضوع من موضوعات السيرة نفسها، كالحديث عن غزوة من الغزوات، أو الحديث عن مرحلة زمنية من مراحل السيرة ببيان خصائصها ومميزاتها. مثال ذلك: المجتمع المدني في عهد النبوة، لأكرم العمري(٧). ويعد هذا النوع من التأليف من أبرز ما تتميز به كتابات السيرة المعاصرة، ويمثل تطوراً وإضافة جديدة في كتابة السيرة بشكل عام.

(٦) ومن أمثلة ذلك أيضا: الرسول القائد، محمود شيت خطاب. والسيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، صالح أحمد الشامي. وأبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، عبدالعزيز إبراهيم العمري. المرأة في العهد النبوي، عصمة الدين كركر. وأيضا: الرحمة في حياة الرسول ﷺ، راغب السرجاني. والمنهج التربوي للسيرة النبوية، منير الغضبان.

(٧) ومن أمثلة ذلك أيضا: غزوة بدر الكبرى، محمد باشميل. والهجرة النبوية المباركة، عبد الرحمن البر.

ولا يخفى أن مثل هذه المؤلفات الموضوعية للسيرة، تخدم الدعوة والدعاة المعاصرين بشكل مباشر، إذ أنها من ناحية الموضوع، تقدم الإسلام في شكل عملي واقعي، قابل للتعامل مع المتغيرات ومعالجة الواقع، وأيضا من ناحية الشكل، وذلك فيما يتعلق بالوسائل وطرق العرض، وترتيب الأفكار، وجمع الآثار بطريقة تطبيقية، مما يعين الدعاة على التطور الفكري والتنويع في الأداء والوسائل.

ثالثاً: المؤلفات التحليلية للسيرة النبوية

وهي الكتابات التي تتعامل مع روايات السيرة التقليدية، ولكنها تتجاوز حد الرواية لتعرض تحليلات كاتبها وتعليقاته، فهي مع الحفاظ على نمط القديم في عرض الروايات وتسلسلها، لا تنتقل من حدث إلى حدث إلا بالتعليق والإشارات المتنوعة، التي تمثل حصيلة تأمل ووعي معاصر ممزوج بأحداث السيرة المباركة ووقائعها.

والسيرة التحليلية تختلف عن الكتابات الموضوعية، في أن التحليل لا يرتبط بموضوع أو فكرة مسبقة، إنما هو تعامل مباشر مع الحدث، وتفاعل ناشئ مع الموقف، ينتج عنه فكرة أو رؤية معينة، وربما موضوعات متعددة. والتحليلات المعاصرة، تخضع -في كثير من الأحيان-لطبيعة الخلفيات الفكرية والبيئية للكاتب، وكذلك لمجريات الأحداث والمتغيرات التي يعاصرها.

ويُعد هذا النوع من الكتابات التحليلية للسيرة-في إطارها الدعوي المتجرد من النزعات الشخصية-نُقلة نوعية، وإضافة متميزة؛ ذلك لأنها تجعل السيرة حدثاً للتأمل والتدبر، وزاداً للعلم والتفقه، وإثراءً للفكرة والموضوع. وهذا مع إفادته لقراء السيرة ودارسيها، بشكل عام، يُعد دعماً وزاداً للدعاة، وبخاصة في العصر الحاضر لما يمدهم به من رؤى متنوعة تساعد في تحليل الأحداث التي تمر بها الساحة الدعوية، وتعين في

بناء عقلية متفتحة ولُود بالحكمة والموعظة الحسنة. ومن أشهر كتابات السيرة المعاصرة في الجانب التحليلي: السيرة دروس وعبر، للسباعي(٨).

رابعاً: المؤلفات الفكرية للسيرة النبوية

قد تكون هذه الكتابات نوعاً من السيرة التحليلية، ولكنها تختلف عنها في أن فكر الكاتب ومعتقده يمثل فيها دوراً رئيساً في عملية التأليف، ويكون -في كثير من الأحيان-هو المحور الذي يدفع عملية الكتابة، ويحدد طريقة الصياغة؛ ومن ثم فهي محاولة لدعم الفكر، والتعريف به من خلال أحداث السيرة؛ ولهذا قد يتعمد الكاتب تفضيل رواية على أخرى، أو إبراز حدث على آخر؛ وذلك من أجل دعم فكرة أو نشرها.

وهذا النوع من التأليف حسن ومفيد في إضافاته، بشرط أن يكون الهدف مشروعاً، والفكرة سليمة، والمفكر مخلصاً منصفاً. والمطالع لكتابات السيرة المعاصرة، يجد منها، الفكري المهتم بالوسائل والطرق والنظريات الحركية الدعوية المعاصرة. مثل كتاب: الأساس في السنة لسعيد حوى(٩). ويجد منها الفكري المتعلق بالمذاهب والاعتقادات، ككتابات بعض الشيعة(١٠).

وأعتقد أن الكتابات الفكرية التي تعتمد على السيرة النبوية تعد من الإضافات المفيدة للدعوة والدعاة، وبخاصة في العصر الحاضر، الذي ساد فيه الفكر والمفكرون،

(٨) ومن أمثلة ذلك أيضاً: فقه السيرة، محمد الغزالي. والسيرة النبوية دراسة تحليلية، لمحمد أبو فارس.

(٩) ومثال ذلك ايضاً: المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان. والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على الصلابي.

(١٠) من ذلك: سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسيني.

واعتمد كثيرون على المخاطبات العقلية والحجج والأقيسة، ودور الداعية الحصيف أن ينقي وينتقي، فما كان منها سليم المقصد، وصحيح التوجه، استفاد الدعاة منه الرأي السديد والنظم الرشيد، وما كان غير ذلك، كشف الدعاة زيغه، وقاموا بنقضه وإبطاله. وفي كلا الأمرين إفادة للدعوة في جانب التربية الفكرية أو جانب النقد والتوجيه.

خامساً: المؤلفات التحررية للسيرة النبوية

ليس التحرر كله مذموماً أو محموداً في عملية التأليف. فهو محمودٌ إن كان إبداعاً في الشكل وتقاليد النظم، كالتحرر من القديم في ألفاظه وعباراته بتسهيلها، وإعادة صياغتها، أو كالتحرر من القديم في نمطه وترتيبه، كإعادة الترتيب والتنسيق والعرض والبيان، وتجنب الحشو. وكان القصد فيه التجديد والتطوير لحاجة الواقع وخدمة القارئ.

أما إن كان المقصد من التحرر، اختراق الثوابت والأصول، والتعدي على المسلمات في القواعد والحقائق، فذلك مردود غير مقبول، وبخاصة إذا كان موضوع التأليف متعلقاً بالدين وأصوله.

والمتابع لمؤلفات السيرة المعاصرة، يجد في بعضها التحرر بالمعنى الأول: التجديد والتطوير مع الحفاظ على الثوابت. ويجد أيضاً التحرر بالمعنى الثاني: رفض بعض الحقائق والتجاوز بالتعدي على بعض الثوابت. ومثال الأول: دراسة في السيرة، لعماد خليل، ودراسات في السيرة، لحسن مؤنس، ففيهما نجد تحرراً من الرابط الزمني للأحداث، ومحاولة تقسيمها إلى وحدات متجانسة، على خلاف الترتيب السائد والمتبع بين كتّاب السير. ومثال الثاني: حياة محمد لهيكل، والسيرة المحمدية، لفريد

وجدي. ففيهما تجديد في طريقة العرض والتناول لا بأس به، ولكن المأخوذ عليهما رفض أمور مجمع عليها بين عامة العلماء والرواة لأن العقل لا يقبلها في مذهبهم، كموضوع المعجزة مثلا. وتُعد كتابات المستشرقين عن النبي ﷺ من أبرز المؤلفات التحررية في السيرة من الناحية الأكاديمية، إذ أن المنصف منها: يعرضها على قواعد التأليف الأكاديمي غير التقليدي، أما المتحاملون منهم: فهم يقلبون الحقيقة وفق الأهواء، ويشوهون جمال المواقف والأحداث بدوافع الحقد. يقول السيد سليمان الندوي: " أما الأوربيون الذين لا يدينون بالإسلام، ولا يؤمنون بالرسالة المحمدية، حتى المبشرون من دعاة النصرانية والمستشرقون، فقد صنّف منهم في سيرة النبي ﷺ، عنايةً منهم بالتاريخ، وإرواء لظمئهم العلمي."[١١] ثم ضرب مثالاً لما قام به بعض المتحاملين، فقال:" وقد حاول مرجليوث[١٢] أن يشوّه كلّ ما يتعلق بالسيرة الشريفة، وأن يشكّك في أسانيدها، ولم يأل جهداً في نقض ما أبرمه التاريخ، ومعارضة ما حقّقه المحقّقون من المنصفين."[١٣] والحق يقال: إن كثيراً من شهادات المنصفين أفادت الدعاة المعاصرين في التعريف بالنبي ﷺ وتقديمه لغير المسلمين، وكانت من أهم وسائل هداية بعض الغربيين وغيرهم إلى نور الإسلام. حتى المتحامل من هذه المؤلفات، قوبل بالنقد الأكاديمي السديد من بعض المنصفين الأكاديميين من غير المسلمين، مما جعل هذه الأفكار المسمومة سهاماً مرتدة في نحور هؤلاء الحاقدين المغرضين.

(١١) الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي(٨٧).

(١٢) من أكثر المستشرقين تحاملا على الإسلام ورسوله. راجع الرسالة المحمدية، لسليمان الندوي(٨٧).

(١٣) الرسالة المحمدية، سليمان الندوي(٨٨).

ومن الضروري أن نؤكد، أنه بالقدر الذي يجب أن نحث الدعاة على التجديد والابتكار في ساحة التأليف والتطبيق، يجب أن نحذر من محاولات التحرر غير المقيدة، فقد تؤدي إلى تجاوز صارخ على الثوابت، وتدفع إلى قلب الحقائق، مما يوقع في الضلال والإضلال. ومع ذلك، ففقه الدعوة يقتضي من الدعاة أن يتلمسوا فوائد كل مؤلف، إما معرفة جديدة تقتبس، أو تجربة نافعة يحتذى بها، أو مادة تعين على فهم توجهات وخلفيات المغرضين، مما يساعد على مواجهتهم ورد افتراءاتهم.

وبهذا العرض الموجز لملامح المؤلفات الحديثة للسيرة، يتبين أنها تتميز عن القديم في تطور وسائل عرضها وترتيبها، وتنوع موضوعاتها، كما أنها أصبحت أكثر ملامسة للواقع وأكثر عوناً على التطبيق، ثم إن اهتمام الجامعات ومراكز البحوث بتناول موضوع السيرة في العصر الحاضر وربطه بقضايا العصر، أدى إلى تنقيتها من الدخيل والموضوع، وأسس لتنافس مبدع نحو عملية تطوير مستمر لسيرة أصيلة تنبض بالحياة، وتدفع إلى العمل.

المبحث الثاني

علاقة الدعوة المعاصرة بالسيرة النبوية ومؤلفاتها

لايمكن للدعوة في أي وقت من الأوقات أن تنطلق باسم الإسلام للتعريف به ولنشر مبادئه في بقاع الأرض دون أن تكون موصولة بالسيرة النبوية اتصالاً عميقاً على مستوى جميع أركانها، بدءاً بالرسالة في مضمونها ووسائل تبليغها، ومروراً بالدعاة في برامج إعدادهم وتدريبهم على ممارسة الدعوة العملية في محيط المدعوين، ووصولاً إلى المنهجيات والتحديات التي تواجه الدعوة والدعاة؛ ولهذا كانت العلاقة بين الدعوة والسيرة علاقة أصيلة وطيدة، كعلاقة الجذور بالفروع والمنبع بالشرايين، فلا يمكن

للفرع أن ينمو ويزداد بدون الاعتماد على جذوره، ولا يمكن للشريان أن ينبض بالحركة والحياة بعيداً عن منبعه. وبناءً على عمق هذه العلاقة المتينة بين الدعوة والسيرة، يتبين عمق أثر المؤلفات المعاصرة للسيرة على الدعوة في تشكيل مناهجها وبناء مساراتها في العصر الحاضر، ومن أجل هذا كان عقد هذا المبحث؛ لنؤكد طبيعة هذه العلاقة، ولنفهم أبعاد تأثر منهجيات الدعوة المعاصرة بالسيرة ومؤلفاتها، ويمكن توضيح هذه العلاقة وبيان ماهيتها من خلال النقاط الآتية:

أولاً: السيرة النبوية ضابطةُ لحركة الدعوة ومسيرة دعاتها

من أهم خصائص الدعوة الإسلامية أنها ليست مرتبطة بزمان ولا مكان، وليست متعلقة بجيل دون جيل، إنما هي مستمرة على مدار الأزمنة والأمكنة وجميع الأفراد؛ ومن هنا كان من اللازم أن تكون هناك ضوابط ومعايير تضمن سلامة الحركة الدعوية من الانحراف عن الأصل، أو الانخداع بالتغيرات والتقلبات المجتمعية عبر التاريخ، أو التحريف في وجهتها وأهدافها. ومن أهم هذه الضوابط المعتمدة في ضبط مسار الدعوة وغيرها: السيرة النبوية، فهي الجامعة للقوالب الدعوية التطبيقية التي مارسها الداعية الأول ﷺ في مختلف مجالات الحياة، وبخاصة في مجال الدعوة والتعامل مع الآخر. يقول سفيان بن عيينة، "إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فعليه تعرض الأشياء، على خلقه وسيرته وهديه، فما وافقها فهو الحق، وما خالفها فهو الباطل"(١٤).والمعروف في فقه الدعوة أن الدعاة لا يُعْتَمَدون في ظل تعاليم الإسلام – في كونهم ممثلين عن الإسلام– إلا إذا حققوا الشرطين المذكورين في قوله تعالى:﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

(١٤) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج١،ص٧٩.

الْمُشْرِكِينَ﴾.[يوسف:١٠٨].وهما: البصيرة، بمعنى: العلم والعمل، واتباع النبي ﷺ. يقول ابن باديس: "فالمسلمون أفراداً وجماعات، عليهم أن يقوموا بالدعوة إلى الله، وأن تكون دعوتهم على بينة وحجة وإيمان ويقين، وأن تكون دعوتهم وفقاً لدعوته ﷺ وتبعاً لها"(١٥)ولا طريق لاتباعه ﷺ في الدعوة وغيرها إلا عن طريق التزام سنته والعمل بمقتضاها، ولا يخفى موضع السيرة النبوية من السنة المطهرة، فهي من أهم أبوابها، وقد تكون مرادفة لها. يقول ابن تيمية عند حديثه عن السنة والحديث: "إنها تكون بقوله أو فعله أو إقراره. وقد يدخل فيها بعض أخباره قبل النبوة، وبعض سيرته قبل النبوة"(١٦). ومن هنا كانت علاقة السيرة النبوية بالدعوة علاقة الضابط الذي يضبط عليه الدعاة تحركهم، ويصوبون من خلاله الاجتهادات والمستجدات، كما أنها هي العاصم للدعوة من التلون أو الذوبان بين شعارات العولمة الحديثة ومسارات الأيدولوجيات المعاصرة.

ثانياً: السيرة النبوية سجلٌ لتأريخ نشأة الدعوة وجهود دعاتها الأول

السيرة النبوية هي السجل التاريخي المعتمد لنشأة الدعوة الإسلامية وتطور مراحلها، وجهود دعاتها الأُول، بدءاً بمعلمهم النبي ﷺ واتصالاً بالسابقين من المهاجرين والأنصار، الذين حملوا رسالة الإسلام وانطلقوا بها دعاة معلمين؛ ولذا نجد كثيراً من كتّاب السيرة النبوية يُعَنْون بعض أحداثها بنسبتها إلى الدعوة أو بعض أركانها، مثلاً: الدعوة في العهد المكي والعهد المدني، أو بداية الدعوة، ومرحلة الدعوة السرية والجهرية، وجهود الصحابة في تبليغ الدعوة ونشرها... وغير ذلك مما يؤكد

(١٥) تفسير ابن باديس، لابن باديس(٣١٤).

(١٦) مجموع الفتاوى، لابن تيمية(١٨/١٠)

على أن السيرة النبوية هي المرجع الأول للتعرف على تاريخ الدعوة وأهم مراحلها. يقول أحمد غلوش في مقدمة كتابه السيرة النبوية والدعوة:" لا حظت أن تاريخ السيرة وتاريخ الدعوة متداخلان بحيث يصعب الفصل بينهما، فقد كانت حياة الرسول ﷺخلالها حركة دائمة للدعوة؛ حيث عُد نومه ﷺ، ومشيه، وصمته، وحياته في بيته، ومع الناس، جزءًا من حركته ﷺبالدعوة، وقد اعتبرها المسلمون ركائز يأخذون منها، ويستفيدون من توجيهاتها وإيحاءاتها."[١٧] ولا شك أن الدعوة المعاصرة لا يمكن أن تشق طريقها في فهم الواقع المعاصر والتعامل معه، أو تستشرف مستقبلها دون الارتباط الوثيق بتاريخ نشأتها وخطوات بنائها وامتدادها في العهد النبوي بمرحلتيه: المكية والمدنية.

ثالثاً: السيرة النبوية زادٌ للداعية في الجانب الروحي والمهني

يقول ابن القيم: "وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم."[١٨]والدعاة إلى تعالى لا يقبل منهم إلا أن يكونوا من المستكثرين في ذلك؛ فهم ورثة النبي ﷺ في توصيل رسالته وتعليمها للناس، فإذا لم ير الناس فيهم هدي النبيﷺ واقعاً لم يكن لكلامهم وقع ولا أثر، وفاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه، هذا في جانب التزود الروحاني للارتقاء بالنفس وارتباطها بالمصدر والمنبع. يقول محمد الغزالي مبيناً منهجه في كتابة السيرة والتعامل

(١٧) أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي،ص١٤.

(١٨) ابن القيم، زاد المعاد، (٦٩/١).

معها: "وقصدت من وراء ذلك أن تكون السيرة شيئا ينمّي الإيمان، ويزكّي الخلق، ويلهب الكفاح، ويغري باعتناق الحقّ والوفاء له، ويضم ثروة طائلة من الأمثلة الرائعة لهذا كله. إنني أكتب في السيرة كما يكتب جنديّ عن قائده، أو تابع عن سيده، أو تلميذ عن أستاذه، ولست مؤرّخا محايداً مبتوت الصلة بمن يكتب عنه"(١٩). أما بخصوص الزاد المهني فلا يخفى ما في السيرة من كنوز فريدة من الخبرات والمهارات التي مارسها خير البشر في دعوة قومه، ولقد أثمرت جهوده ﷺ بناء أمة من شتات، وإقامة حضارة من تخلف، والداعية الموفق هو الذي يجعل سيرة النبيﷺ مرجعاً وسنداً في كل خطوة ومرحلة، وبمقدار قرب الداعية من السيرة وتفاعله معها روحانيا ومهنياً بمقدار ما يكون نجاحه في توصيل الدعوة وإقناع مدعويه بها.

رابعاً: السيرة النبوية معينٌ على مواجهة تحديات الدعوة وحل مشكلاتها

تتشابه الدعوة على مدار تاريخها في بعض تحدياتها، وبخاصة فيما يتعلق بتبليغ الدعوة ومواقف المدعوين منها، وأيضا فيما يتعلق بالشبهات التي تثار حول الدعوة ومبادئها. والمتتبع للسيرة النبوية يجد أنها سجل حافل بجملة من التحديات الدعوية التي واجهت النبيﷺ في بداية الدعوة فيما يعرف بالمرحلة المكية، وبعد التمكين للدعوة فيما يعرف بالمرحلة المدنية، ولقد استطاع النبيﷺ أن يواجه هذه العقبات والمشكلات بحكمة النبوة التي تجلت في الرحمة والتسامح، كما استطاع ﷺ أن يتغلب على طبائع المدعوين المختلفة، ويصل إلى قلوبهم بوسائل دعوية تناسب خلفياتهم العقدية والاجتماعية والجغرافية...وغيرها. ومع إدراكنا لاختلاف طبيعة التحديات والمشكلات من عصر إلى عصر إلا أن تحرك الدعوة عبر التاريخ، يثبت أن هناك

(١٩) محمد الغزالي، فقه السيرة،ص٦.

تشابهاً كبيراً في التحديات والعقبات التي تواجه الدعاة؛ ذلك أن الرسالة ومضمونها واحد، وأن عقليات البشر في استقبالها متشابهة في كثير من صورها، ومن هنا كانت دراسة السيرة من أجل معالجة قضايا الدعوة ومشاكلها عبر الزمان والمكان من أهم ما يجب أن يتزود به الداعية في إطار الاستعداد المسبق لمواجهة تحديات العصر. يقول محمد الغزالي –وهو رائد في الدعوة المعاصرة– في مقدمة كتابه فقه السيرة:" إنني أكتب وأمام عينيّ مناظر قاتمة من تأخّر المسلمين العاطفيّ والفكريّ؛ فلا عجب إذا قصصت وقائع السيرة بأسلوب يومئ من قرب أو من بعد إلى حاضرنا المؤسف، كلما أوردت قصة جعلتها تحمل في طياتها شحنة من صدق العاطفة، وسلامة الفكر، وجلال العمل، كي أعالج هذا التأخر المثير"(٢٠). وعلى هذا الفهم لطبيعة السيرة في فقه الدعوة يجب أن تكون مسيرتها المعاصرة.

خامساً: السيرة النبوية مادةٌ للدعاة في دعم المفاهيم وتوصيلها

من أهم مهام الدعاة تبليغ الرسالة ونشر مبادئها وتربية الناس عليها، والمعروف أن التربية تحتاج إلى مادة يسوق الدعاة من خلالها المفاهيم والقيم التي يرغبون في توصيلها وتربية الأمة عليها، وليس هناك أعمق أثراً وأقوى إقناعاً، وأكثر إمتاعاً من أحداث السيرة ومواقفها، ودور الدعاة أن يتخيروا من السيرة ما يخدم حديثهم، ويؤكد ما يدعون إليه في جميع شئون الحياة، وبخاصة، في مجال الحث والترغيب، وضرب الأمثال لتقريب المبادئ، وإعطاء النموذج العملي للتطبيق والاقتداء على مستوى الفرد والمجتمع. فمثلاً، إذا أراد الداعية أن يتحدث عن أسس إقامة المجتمع ودعائمه، فسيجد أحداث ما بعد الهجرة تبين ما قام به النبي ﷺ مع أصحابه عند تأسيس

(٢٠) السابق،ص٧.

المجتمع الإسلامي الأول. وإذا أراد الداعية أن يتناول المفاهيم المتعلقة بالقوة ومفهوم الجهاد، فسيجد غزوات النبي ﷺ تمده بالمفاهيم التطبيقية التي تعين على وضع الدعوة وأتباعها في المسار الصحيح... وغير ذلك من القضايا الاجتماعية والسياسية والأخلاقية المتعلقة بالمجتمع داخلياً وخارجياً، يجد الداعية في السيرة ما يسهل عليه طريق الإقناع ويحقق له الإمتاع في دعوته.

هذه هي أهم النقاط التي تثبت متانة العلاقة بين الدعوة والسيرة، وتؤكد على ضرورة أن يهتم دعاة العصر بحفظ هذا الترابط حتى تكون دعوتهم على هدي وبصيرة. وبناء على هذا العمق في العلاقة نستطيع أن نستوضح الآثار التي يمكن أن تتجلى في الدعوة ومناهجها، وهذا ما يسعى البحث لبيانه في المبحث الآتي إن شاء الله.

المبحث الثالث

مناهج الدعوة المعاصرة من خلال مؤلفات السيرة الحديثة

تبين لنا –من خلال المبحثين السابقين–أن كتابات السيرة المعاصرة، تتمتع بتنوع في الصياغة والفكر، والإبداع في طرق العرض والتناول. كما اتضح عميق العلاقة بين السيرة والدعوة، فالدعوة الإسلامية الناجحة، لا يمكن أن تخطو قُدُما في عالم الواقع والمعاصرة، بدون اصطحاب لأحداث السيرة العطرة، فهماً وتطبيقاً، وزاداً ومرجعاً. ومع هذا القرب الروحاني والمهني الضروريين من قبل الدعاة تجاه السيرة العطرة، بدأت عملية التأثر في محيط الدعوة والدعاة؛ وبناءً عليه أيضا، بدأت الدعوة المعاصرة ترسم مناهجها، وتضع توجهاتها، وتنتقي وسائلها، وتفهم واقعها، وتقيم حركتها، وتخطط لمستقبلها.

وفي هذا المبحث، نحاول أن نقف على بعض أهم هذه المنهجيات الدعوية، التي ساهمت مؤلفات السيرة المعاصرة في إنتاجها، أو دعمها في محيط الدعوة الحديثة.

أولاً: المنهج الدعوي السلمي

دعوة الإسلام بطبيعتها سلمية التوجه والوسيلة والغاية منذ انطلق بها الداعية الأول ﷺ. وظلت الدعوة على مدار التاريخ تسلك طريقها إلى قلوب المدعوين وعقولهم في سلمية تامة وأمان كامل يتجليان في أقوال الداعية وسلوكه ووسائله في الدعوة إلى الله تعالى. ولأسباب كثيرة –قد يكون منها الأداء المتشدد لبعض المنتمين إلى الدعوة–يشاع في هذا العصر –كذباً وافتراءً– أن الإسلام دين العنف والإرهاب، وأنه انتشر بالقوة والسيف تحت الإكراه والجبر؛ مما وضع دعاة العصر أمام مواجهة لجبهتين: جبهة داخلية تواجه المتبنين لأسلوب العنف من المسلمين، وجبهة خارجية يمثلها المثيرون للشبهات من الحاقدين على الإسلام ودعوته. ونتيجةً لهذا، بدأت منهجيه الدعوة السلمية وتوجهاتها تتشكل في محيط الدعاة الغيورين على دعوتهم من أجل مجابهة هاتين الجبهتين، وللتأكيد على أن دعوة الإسلام لا تكون إلا سلمية في هدفها ووسائل عرضها ومناهجها.

ومن هنا جاء دور مؤلفات السيرة في العصر الحاضر — وبخاصة التي تهتم بالتحليل والتعليق والإسقاطات العملية المعاصرة–في دعم مفهوم السلمية الدعوية وتصحيح المفاهيم حولها في الدعوة الحديثة؛ وذلك من خلال تناول أحداث السيرة النبوية التي تحدثت عن الدعوة في مرحلتيها المكية والمدنية، وإبراز جوانب الرأفة والرحمة والتسامح في الأسلوب والوسيلة. ولقد تميز كثير من هذه الكتابات بالهدوء في العرض، والحجة عند البيان، والقوة في الربط والإسقاط، مما ساعد على تهيئة مناخ

سلمي يدعو إلى الطمأنينة، وتفعيل العقل بالحوار والنقاش؛ بما يحرك فطرة القارئ، ويجذب الأرواح، ويقوي الإيمان، ويدفع إلى العمل الصالح والسلوك القويم. ومن أصدق الأمثلة تعبيراً عن هذه المنهجية تعليق "فتحي كولن" على قصة إسلام "عكرمة بن أبي جهل" إذ يقول: "كان عكرمة في عدائه للإسلام، وكأنه يتسابق مع والده، فما من أمر اشترك فيه والده ضد الإسلام إلا اشترك فيه عكرمة. ومع أن المسلمين فتحوا مكة، وأسلم أهلها إلا أن عكرمة بقى معانداً في خصومته للإسلام، وقاتل المسلمين بسيفه، ثم هرب إلى اليمن. وكانت أم حكيم بنت الحارث زوجته امرأة عاقلة، وكانت قد أسلمت، فذهبت إلى اليمن، وأقنعته بالرجوع إلى بلده ومقابلة النبي ﷺ. وعندما دخل عليه عكرمة، رحب به النبي ﷺ قائلاً: "مرحبا بالراكب المهاجر، مرحبا بالراكب المهاجر[٢١]،كان هذا الترحيب كافياً لإذابة جليد العداوة في قلب عكرمة. وبعد أن نطق بالشهادتين، قال للنبي ﷺ وهو مطأطأ الرأس حياءً: "يا رسول الله! استغفر لي كل عداوة عاديتكها، أو موكب أوضعت فيه أريد فيه إظهار الشرك". فرفع الرسول ﷺ يديه بالدعاء قائلاً: "اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها، أو موكب أوضع فيه يريد أن يصد عن سبيلك"[٢٢]. فما أن سمع عكرمة هذا الدعاء حتى استولى عليه انفعال شديد ... إذ ما كان يتوقع مثل هذا الاستقبال وهذا الترحيب. فقال:" أما والله يا رسول الله، لا أدع نفقة كنت أنفقتها

(٢١) النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، رقم٥٠٥٩، وقال: صحيح، ولم يخرجاه، ج٣، ص ٢٧١.

(٢٢) السابق نفسه رقم ٥٠٥٧، ج٣ ص ٢٧٠.وأورده ابن عساكر في تاريخ دمشق رقم ٨٢١١ ج٤١، ص٦٤.

في الصد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قاتلت قتالاً في الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه في سبيل الله." وبرّ عكرمة بوعده، وفي معركة اليرموك جاد بنفسه واستشهد فيها. أجل لقد كان رسول الله ﷺ حريصاً على هداية الناس، فقد كان يمثل في الدعوة وفي التبليغ قمة لا يمكن بلوغها. إذ مد يده للآلاف ولمئات الآلاف ليقودهم إلى عالم النور والهداية، ولكنه لم يكن يعرف الاكتفاء؛ لذا نراه يمد يد الشفقة والرحمة حتى لألد أعدائه."(٢٣) ويلاحظ هنا تأكيد المؤلف على سماحة النبي ﷺ أثناء استقباله لأشد المعادين له ممن أحلّ النبي ﷺ دمهم يوماً لطغيانهم؛ فقد قابل ﷺ الإساءة بالعفو والتجاوز بالصفح، بل بمزيد من الفضل ورفع المنزلة، وهو في مقام القوي الممكن، فماذا عساه أن يكون في مرحلة الاستضعاف! ثم نجد أيضاً بيان الكاتب لثمرة هذه الدعوة الرقيقة السلمية في أنها جعلت هذا المعادي الثائر موالياً حميماً وناصراً ومعيناً لدعوة الإسلام. ولاشك أن مثل هذا النوع من التحليل لهذه الأحداث ومثيلاتها يقطع الطريق على من يزعم أن طريق العنف والشدة وأخذ الثأر هو طريق الإسلام في الدعوة، كما أنه يرطب قلوب الغاضبين من الدعاة، ويلقي في نفوسهم الأمل واليقين أن دفع السيئة بالحسنة والإساءة بالإحسان هو طريق التأثير في القلوب ودفعها إلى الإيمان والتسليم. ومن الأمثلة التي الأخرى التي تدعم منهجية الدعوة السلمية في مرحلة اضطهاد الدعوة والتنكيل بالدعاة ما ذكرة "راغب السرجاني في كتابه (الرحمة في حياة الرسول) يقول: "كان رسول الله يرجو الإسلام حتى لألد أعدائه؛ برغم شرورهم ومكائدهم..ها هو يخص بالدعاء رجلين من ألد

(٢٣) النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية، فتحي كولن، ج١،ص١٩٩.

أعدائه: أبا جهل وعمر بن الخطاب -قبل أن يُسلم عمر- فيقول:"اللَّهم أعزَّ الإِسْلام بأحب هذين الرَّجلين إِلَيْك، بَأبي جهل أو بعمر بن الْخطَّاب، فَكَان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب."[٢٤] ثم يتابع قائلا: إن التاريخ الطويل من الصد عن سبيل الله، وفتنة المسلمين عن دينهم، لم يورث في قلب الرسول ﷺ شعورا بالانتقام، أو رغبة في الكيد أو التنكيل، إنما على العكس تماماً، شعر بأنهم مَرْضى يحتاجون إلى طبيب، أو حيارى يحتاجون إلى دليل، فجاءت هذه الدعوة لهم بالهداية والرحمة والنجاة، كانت تلك هي نفسيته، وكانت تلك هي سنته وطريقته، وكانت هذه هي خلفياته ومرجعيته في التعامل مع الناس..إن رسولنا الكريم ﷺ كان حريصاً كل الحرص على إيصال دعوته إلى كل من هو على غير الإسلام؛ فحملها إلى كل مشرك أو يهودي أو نصراني أو مجوسي، وكان يبذل قصارى جهده في الإقناع بالتي هي أحسن، وكان يحزن حزناً شديداً إذا رفض إنسان أو قومٌ الإسلام، حتى وصل الأمر إلى أن الله عز وجل نهاه عن هذا الحزن والأسى. قال تعالى يخاطبه: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾(الشعراء:٣). ويقول أيضا: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ (فاطر:٨).

ومع شدة هذا الحزن إلا أن الرسول ﷺ لم يجعله مبرراً للضغط على أحد ليقبل الإسلام، إنما جعل الآية الكريمة ﴿لا إكراه في الدين﴾(البقرة:٢٥٦) منهجاً له في حياته، فتحقق في حياته التوازن الرائع المعجز، إذ أنه يدعو إلى الحق الذي معه بكل

(٢٤) الجامع الصحيح سنن الترمذي، الترمذي، باب ١٨ في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رقم٣٦٨١ ، وقال: حسن صحيح غريب ،ج،٥، ص ٦١٧.

قوة، ولكنه لا يدفع أحداً إليه مكرهاً أبداً".[٢٥] وهكذا يشعر القارئ لهذا التعليق على موقف النبي ﷺ من معاديه ومحاربيه بدفء الداعية تجاه مدعويه، وحرصه على نجاة أرواحهم لا إفنائها، فهو يستعين بجانب سعيه الدعوي المستمر، وتواصله المتكرر، وبرغبته القلبية الصادقة بدعاء نبي مضمون الإجابة يضعه بين يدي الله. إن وضوح مثل هذه المعاني من خلال تحليل مواقف الدعوة في السيرة النبوية، يملأ قلوب القارئين بالهدوء والأمن، ويكنفها بالرحمة والطمأنينة التي إن استقرت في القلوب ألقت بظلالها على لسان الداعية كلمات رقراقة لينة، وتجلت في مواقفه مع مدعويه تسامحاً وتواصلاً. ولقد تجلت نتائج هذه المنهجية الدعوية في عاطفة الإيمان الجياشة التي ملأت قلوب المدعوين وفي صدق اتباعهم وعمق محبتهم وتقديرهم لقيم ومبادئ هذا الدين؛ مما يبطل دعوى أن السيف هو الذي أقامهم على الدين، أو أن الخوف والتهديد هو الذي جاء بهم إلى عقيدة الإسلام. إذ هل يمكن أن يكون السيف والقوة سبباً في انتشار المبادئ وذيوعها في العالمين بهذه السرعة المذهلة؟ ومَنْ هذا الذي يمكن أن يحمل هذه الرسالة بهذه التضحيات العزيزة والفهم الثاقب، أهذا الذي حُمل عليها بالقوة والقهر؟ أم هذا الذي ألغي عقله فلم يفكر ولم يعقل؟ إن منهجية الدعوة السلمية التي تابعتها الدعوة في مسيرتها التاريخية تجيب عن هذه الأسئلة مؤكدة فاعلية دورها قديما، وتطرح نفسها في عالم الدعوة المعاصر كمنهجية لابديل عنها في تبليغ الرسالة وهداية العالمين. وفيما يلي نعرض لبعض المظاهر التي تؤكد وجود المنهجية الدعوية السلمية في العصر الحاضر واتساع نطاقها وتفعيلها في محيط الدعاة المعاصرين.

(٢٥) راغب السرجاني، الرحمة في حياة الرسول ﷺ، ص٢١٥.

- نجاحات الدعوة المعاصرة وسرعة انتشارها بين قطاعات شتى من المدعوين عالمياً، يدل على التزام الدعاة بالمنهجية السلمية في التبليغ والبيان، فبمقدار شعور المدعو بالأمن والطمأنينة في حديث الداعية وحواراته، وإرشاداته، وتوجيهاته، وسلوكياته بمقدار ما تعرف الدعوة طريقها إلى القلوب والعقول.
- اعتماد كثير من الدعاة المعاصرين في خطابتهم على العاطفة وإثارة الوجدان، والحوار وتحريك العقل يعد دليلا على سعة الصدر ورقة القلب واحترام الآخر، وكل ذلك من ثمار منهجية السلم التي تقوم على تحقيق الطمأنينة القلبية عند المدعو، بما يوفر بيئة الحوار الحر، والتفكير المتأني، والمراجعة والسؤال، والاقتناع الهادئ قبل اتخاذ قرار الاتباع والالتزام.
- كثرة الشائعات الشرسة ضد دعوة الإسلام واتهامه بالعنف والإرهاب يعد دليلاً آخراً على إثبات المنهجية السلمية وبيان مدى فاعليتها في الدعوة المعاصرة؛ ذلك أن المعادين للإسلام يحاولون رميه فيما هو سبب ظهوره وانتشاره، ومحاولة إشاعة ما يضر بالطمأنينة والأمان الذي يستشعره المدعو من خلال هذه الدعوة الربانية.
- اهتمام كثير من مؤسسات الدعوة المعاصرة ورموزها بالتصدي الفكري لبعض المتبنين للخطاب العنيف باسم الإسلام ومحاولة ردهم إلى الطريق الصواب بالحجة والبرهان، وعقد المؤتمرات، وتأليف الكتب ...وغيرها.

ثانياً: المنهج الدعوي التربوي

لقد ساد في وسط بعض الدعاة لزمن طويل، أن دورهم في وسط المدعوين، ينحصر في إلقاء الخطب، وإعطاء الدروس، وإعداد الفتاوى، وحل المشاكل العارضة،

دون الشعور بتحمل مسؤولية المتابعة، أو الاهتمام بواقع المدعو وسلوكه، أو التأكد من حدوث تغيير إصلاحي على المستوى المجتمعي العام.

ولكن من خلال بعض كتابات السيرة المعاصرة، وخاصة التي هي من النوع التحليلي والفكري، بدأت تتبلور، وتنضج، وتسود في منظومة الدعوة الحديثة، وبين محيط الدعاة منهجية (الدعوة التربوية) والتي يقصد بها جعل الدعوة عملية تنموية مستمرة، تهدف إلى الإنماء والتطوير الشامل عند الداعي والمدعو، ولا تتوقف بانتهاء الموعظة الشفوية العابرة، إنما تنتقل من موقف إلى موقف، ووسيلة إلى أخرى، ليس فقط من أجل إتمام عملية البلاغ والوعظ، إنما لتعين على التطبيق العملي، وتحقيق التربية في صورها المتنوعة عند المدعو.

ولقد تجلت هذه المنهجية الدعوية التربوية على مستوى الدعاة قبل المدعوين، وأكدت على أن نجاحها على مستوى المدعوين، مرتبط بتحققها على مستوى الدعاة مع أنفسهم أولاً. ونتيجةً لهذا الفهم، بدأت برامج إعداد وتأهيل الدعاة الفردية والمؤسسية تُعنى بتربية الدعاة ودعمهم روحانياً وفكرياً وعلمياً، بالقدر الذي يؤهلهم لإعداد وبناء شرائح المدعوين المختلفة.

ولقد كان من أهم الدوافع في تبني وظهور وانتشار هذه المنهجية على مستوى الدعوة المعاصرة هي هذه الوقفات التحليلية التربوية، والتعليقات المصحوبة بالمعاني والإشارات الدعوية، التي نُثرت بدقة، وصِيغت بوعي، وحُررت بفهم بين طيات بعض كتب السير المعاصرة – وتحديداً –عند تناول أحداث المرحلة المكية، التي تمثل بدء انطلاقة الدعوة. من ذلك على سبيل المثال: قصة اختلائه ﷺ في غار حراء[٢٦]

(٢٦) راجع: تهذيب سيرة بن هشام، عبد السلام هارون،ص٥٠ وما بعدها.

متعبداً ومتأملاً الليالي الطويلة، حتى جاءه الملك بالبشارة وطلائع آيات القرآن. يقول محمد الغزالي: "في غار حراء كان محمد ﷺ يتعبد، ويصقل قلبه، وينقي روحه، ويقترب من الحق جهده، ويبتعد عن الباطل وسعه، حتى وصل من الصفاء إلى مرتبة عالية انعكست بها أشعة الغيوب على صفحته المجلوة، فأمسى لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح"(٢٧). وهذا التحليل يشير إلى عملية إعداد ضرورية للداعية قبل بدء رسالة الدعوة وتبليغها، ويلقي في خاطر كل قارئ من الدعاة أن صفاء القلوب ورقيّ الأرواح طريق لنيل الخير والتشبع بهدي الرحمن. يقول سعيد البوطي معلقاً على القصة ذاتها: "فتلك هي العدة الكبرى التي ينبغي أن يتسلح بها الدعاة إلى الله، وتلك هي العدة التي جهز الله بها حبيبه محمدا ﷺ بأعباء الدعوة الإسلامية"(٢٨). هذا على مستوى تربية الداعية وإعداده لحمل الرسالة، أما في إطار تربية وإعداد المدعو فتأتي قصة اجتماعه ﷺ بأصحابه في دار الأرقم ابن الأرقم(٢٩) في المرحلة المكية، لتكون مادة غنية يُبْرز من خلالها كتّاب السيرة المعاصرة دور الداعي الأول في مجال تربية المدعوين والارتقاء بهم. يقول الصلابي:"في دار الأرقم وفق الله تعالى رسوله ﷺ إلى تكوين الجماعة الأولى من الصحابة، حيث قاموا بأعظم دعوة عرفتها البشرية. وكانت نقطة البدء في حركة التربية الربانية الأولى هي لقاء المدعو بالنبي ﷺ، فيحدث للمدعو تحول غريب، واهتداء مفاجئ، فيخرج المدعو من دائرة الظلام إلى دائرة

(٢٧) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص٩٩.

(٢٨) محمد سعيد البوطي، فقه السيرة، ص٨٠.

(٢٩) راجع: نور اليقين في سيرة خير المرسلين، محد الخضري ، ص٣٠، ط الأولى، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ،دار المعرفة بيروت، لبنان.

النور، ويكتسب الإيمان ويطرح الكفر، ويقوى على تحمل الشدائد والمصائب في سبيل دينه الجديد وعقيدته السمحة"[٣٠]. ولم تكتف كتابات السيرة المعاصرة بالتعليق، أو التحليل، أو الإشارة لأهمية التربية في الدعوة الإسلامية، إنما وجدنا بعضا منها[٣١] يتخذ موضوع التربية من خلال أحداث السيرة محوراً أساسياً، يعالج المؤلف من خلاله كل ما يتعلق بالتربية ومفرداتها التخصصية.

ولاشك أن اطلاع دعاة العصر على مثل هذه التحليلات والتعليقات، ودراستهم لهذه الكتابات التي تربط الدعوة بالتربية والتكوين، وتجعل من أهم وظائف الداعية التوجيه والتربية، أعان على وضع ثقافة عامة عند جماهير الدعاة، تُلزم الداعية بواجبات تربوية تجاه نفسه، وتضعه على جملة من المسئوليات التربوية تجاه مدعوه ومجتمعه. ومن خلال هذه الثقافة التي أنضجتها كتب السير المعاصرة، وأكدت عليها من خلال المصطلحات والألفاظ الدعوية التربوية المشتركة بين هذه الكتب المعاصرة، أصبحت التربية جزءاً أصيلاً من الدعوة وأهدافها، وبات تحقيقها من جملة ما تسمو إليه الدعوة من إنجازات في واقعها المعاصر. ومن هنا نشأت المنهجية الدعوية التربوية الحديثة، لتعلن عن نفسها في عدة مظاهر من أهمها:

- إقامة المعاهد الدعوية، والدورات التدريبية، والمسابقات التنافسية، والتقييمات الدورية بين الدعاة؛ للتنشيط والتأهيل والتطوير المستمر.

(٣٠) علي الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ج١،ص٩٧.

(٣١) من ذلك: المنهج التربوي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مطبعة دار الوفاء. وكذلك كتاب وقفات تربوية من السيرة النبوية ،عبد الحميد البلالي، ط أولى ١٤٠٨ هـ، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت . وغيرهما.

- انتشار شعار (الداعية القدوة) الذي أصبح هدفاً في محيط الدعاة، يعملون على تحقيقه والالتزام به، ومعياراً بين المدعوين، يقاس عليه أداء الداعية وتميزه.
- انتقال المدعو من مستوى المتلقي إلى مستوى المربَى، الذي يحرص على تدبر المعلومة، وتطبيق المعرفة، والاستفادة من الموعظة، وتحقيق التغيير.
- اهتمام الدعاة بقضايا التربية والإصلاح في المجتمعات، والقيام بالمتابعة والرصد، وعلاج الظواهر العامة.

ثالثاً: المنهج الدعوي الاستيعابي

إن اهتمام كتابات السيرة المعاصرة بإبراز وتحليل دعوة النبي ﷺ لصنوف المدعوين على اختلاف عقائدهم، من اليهود والنصارى والوثنيين، واختلاف أعمارهم من الشيوخ والشباب والصبيان، واختلاف مستوياتهم الاجتماعية من الغني والفقير والسيد والرئيس والمسود والمرؤوس، وكذلك اختلاف أوطانهم العربي والحبشي والفارسي والرومي. جعل الدعوة عالمية الرسالة والتوجه، وفرض على دعاة العصر منهجية ضرورية تلزم بالتفاعل الإيجابي المتجدد؛ لاستيعاب شرائح المدعوين وأصنافهم المتعددة في العصر الحاضر. ويزداد هذا المعنى وضوحاً عند دراسة الداعية تحليلات كتب السير المعاصرة التي تبين قدرة النبي ﷺ على تأليف القلوب المنكِرة، وجذب النفوس النافرة الغاضبة، مثل ما حدث يوم حنين، عند توزيع الغنائم(٣٢). يقول مصطفى السباعي عند تعليقه على تأليف النبي ﷺ لقلوب السادة من قريش بعطاء خاص برغم عداوتهم القديمة لدعوة الإسلام: "الإسلام دين هداية وإصلاح، فلا يكتفي بفرض سلطانه بالقهر والغلبة، كما تفعل كثير من النظم التي تعتمد في قيامها

(٣٢) راجع: تهذيب سيرة بن هشام، عبد السلام هارون، ص ٢٧٤ وما بعدها.

وبقائها على القوة دون استجابة النفوس والقلوب، بل لا بد من تفتح القلوب له، واستبشارها بهدايته، وتعشقها لمبادئه ومثله، وما دام العطاء عند بعض الناس مفيداً في استصلاح قلوبهم وغسل عداواتهم، فالحكمة كل الحكمة أن تعطى حتى ترضى، كما فعل رسول الله ﷺ فإذا صلحت نفوس أشرافهم بهذه الأعطيات، تفتحت قلوبهم بعد ذلك لنور الدعوة، وحمل أعبائها، وهذا هو الذي حصل، فإنه بعد أن تألف رسول الله قلوب هؤلاء الزعماء، زالت من نفوسهم كل موجدة وحقد على الاسلام ودعوته"[٣٣]. إن تأليف القلوب هو شعار الاستيعاب الدعوي، يليه التعرف على النفسيات المختلفة للمدعوين، وتقدير السادة وعلية القوم فيهم، وإنزال كل فرد ما يناسبه من منزل. يقول منير الغضبان عند تعليقه على مراسلات النبي ﷺ إلى الملوك والرؤساء[٣٤]:"نلاحظ أن الرسول ﷺ كان يضرب على الأوتار النفسية التي يخشاها الحاكمون، فكانت رسله تطمئن هؤلاء الحاكمين على ملكهم، وأنه سيحفظ لهم إذا دخلوا في الإسلام، حتى أولئك الذين عادوا الإسلام وحاربوه، لم يكن الغيظ أو الحقد ليغير هذه السياسة، بل كان إكرامهم هو الأساس بعد دخولهم في الإسلام، أو حتى بعد انقطاعهم عن حربه"[٣٥]. وكذلك ترطيب قلوب الأتباع وإزالة الحزن والشك منها ورفع الروح المعنوية عند جميعهم. يقول منير الغضبان أيضا عند تعليقه على معاملة النبي ﷺ لكلٍ من خالد بن الوليد وعمرو بن العاص بعد إسلامهما: "والملاحظ أن عرض عمرو رضي الله عنه الإسلام، وإسلام خالد بين يدي رسول

(٣٣) مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، ص١٤٩.

(٣٤) محمد الطيب النجار، القول المبين في سيرة سيد المرسلين، ص

(٣٥) منير الغضبان، المنهج الحركي، ج٣،ص٥٧.

الله ﷺ لم يختلف في المضمون، لكن نرى في بعض الجزئيات إشارات لمعنى ضخم في طبيعة الدعاة. فخالد، يرى ابتسام رسول الله له منذ لقياه، وعمرو، يرى تهلل وجه النبي ﷺ منذ رآه. وخالد يقول: "إن رسول الله ﷺ لم يعدل به أحداً إذا حزبه أمر". وعمرو يقول:" إن رسول الله ﷺ لم يعدل به أحداً إذا حزبه أمر." وهذه الإشارات تدل على عظمة النبي ﷺ ، فكل صحابي يشعر أنه أحب إلى رسول اللهﷺ ، وأنه موقع ثقته وحده من دون الناس."[٣٦] وغير ذلك من الأمثلة التي يؤكد كتاب السير بتعليقاتهم ضرورة اهتمام الداعية باستيعاب جميع أصناف المدعوين، من آمن منهم ومن لم يؤمن، وتشير إلى أن استخدام لغة القلوب، وفهم طبائع النفوس قبل استخدام لغة العبارات ومخاطبة العقول هو طريق هذه المنهجية؛ فما يصلح لقوم قد يكون فتنة لآخرين! ودعوة الفرد قد تكون مفتاحاً لهداية الأمم والشعوب.

ومن هنا نشأت المنهجية الاستيعابية في الدعوة على قاعدة المساواة بين المدعوين في البلاغ والبيان، مع ضرورة تقدير الوسيلة المناسبة، وبراعة الاستهلال المصحوب بالحرص الشديد على هدايتهم وتوصيل الدعوة إليهم. ولقد تجلت في الدعوة المعاصرة عدة مظاهر تدل على تبني هذه المنهجية بين قطاع كبير من الدعاة المعاصرين منها:

- الاهتمام بإعداد الكوادر الدعوية المؤهلة بثقافة ولغات، وتقاليد شرائح المدعوين المختلفة على مستوى العالم.
- استخدام كثير من الدعاة ما يعرف بشبكات التواصل الكتروني، من أجل الوصول إلى أكبر قدر من المدعوين، لتحقيق واجب البلاغ العالمي.

(٣٦) السابق نفسه، ج٣، ص٩١.

- تشجيع الدعاة لكثير من الغيورين في التخصصات المختلفة على تمثيل الإسلام والتعريف به في محيط الحياة العملية.
- أصبح الإسلام من أكثر الأديان انتشاراً في العالم، بالإضافة إلى زيادة عدد الراغبين في دراسة الإسلام والتعرف على أتباعه.
- كثرة وتنوع وسائل الدعوة المعاصرة من المطبوعات والمرئيات والمسموعات بكل أنواعها، هذا بالإضافة إلى اتساع المراكز الميدانية حول العالم للتعريف بالإسلام.

رابعاً: المنهج الدعوي الشامل

المقصود بالمنهج الشامل في الدعوة، هو شمولية المفاهيم والقيم الإصلاحية التي تشمل كل جوانب الحياة، وكذلك الوسائل والطرق التي لا تقف عند القديم التقليدي، إنما تتسع مع اتساع الزمان والمكان وانتشار الإنسان. فالداعية المعاصر يجد عند قراءته للسيرة النبوية كثيراً من الأحداث التي تدل على أن الدعوة الإسلامية لا يمكن إلا أن تكون شاملة، ولكن مع غياب التطبيق الكامل لهذا المعنى في واقع الحياة المعاصرة، ولتلاحق المحاولات المتعمدة لتحجيم دور الإسلام في الواقع الملموس، أصبحت قضية الشمولية في الدعوة –لعقود طويلة–أمراً عابرًا، لا يتناسب مع أهمية هذا المبدأ ومكانته في الإسلام.

ومن هنا جاء دور الكتابات المعاصرة للسيرة في محيط الدعوة الحديثة فأحيت مفهوم الشمول، وجعلته حجر زاوية في الدعوة، وأعانت على انتشاره، ودلّت في كثير من الأحيان على طرق تنفيذه؛ مما جعل الشمولية في الدعوة المعاصرة منهجية تعرف بها الدعوة، ويمارسها كثير من الدعاة واقعاً ملموساً. يقول فتحي كولن، مؤلف كتاب (النور الخالد ﷺ مفخرة الإنسانية):"من الخطأ أن نظن أن تربية الرسول ﷺ اقتصرت

على تزكية النفوس، إذ أنه أتى بنظام شامل للتربية، يخاطب العقل والروح والقلب، والحقائق القرآنية تفعل الشيء نفسه"[٣٧]. هذا من ناحية المفهوم العام لدور الداعية الشامل مع مدعويه. أما من ناحية التطبيق للشمول في واقع الدعوة، فقد عرض له سعيد حوى بتعليق نافع عند حديثه عن أبرز ملامح المرحلة المدنية. يقول: "إنها مرحلة حركة مستمرة، دعوياً، وتربوياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وقانونياً، ودستورياً، وسياسياً، وعسكرياً، فتلاحم فيها العمل الدعوي والتربوي مع العمل السياسي العسكري..."[٣٨] ولقد تحدث أيضا محمد أبو فارس عن بناء المسجد في المدينة، ودوره في تحقيق معنى الشمول واقعاً، وضرورة العودة به إلى هذا الدور في الواقع المعاصر. يقول: "كان المسجد منبر إعلام وإشعاعا فكريا بالنسبة للمسلمين، يجتمعون فيه للبحث في قضاياهم العامة، يتعارفون فيه، يتكاتفون، ويتكافلون، ويتزاورون، ويتحابون، ويحدثهم الرسول ﷺ عن قضاياهم، ويقدم لهم الحلول لها، ويضعهم في آخر الأخبار عن أحوال الغزوات، وكان المسجد مقراً للقضاء، يقضي الرسول ﷺ فيه بين المتخاصمين، وكان المسجد مقراً للشورى يستشير الرسول ﷺالمسلمين فيه، فهو بمثابة مجلس الأمة، تعرض فيه قضاياها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ويفكر المسلمون وأهل الحل والعقد خاصة بإيجاد الحلول المناسبة لتلك القضايا، في جو من الحرية في التفكير وإبداء الرأي، بعيداً عن القمع والإرهاب الفكري."[٣٩] وهكذا يبرز مفهوم الشمول في الدعوة الحديثة، ويتحقق خطوة خطوة

(٣٧) محمد فتح كولن، النور الخالد محمدﷺ ، ص٣٩١.

(٣٨) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، ج١، ص٣٦٥.

(٣٩) محمد أبو فارس، السيرة النبوية دراسة تحليلية، ص٢٦٣،٢٦٢.

من خلال هذا الفهم العميق والربط العملي بين أحداث السيرة وواقع الدعوة. وبهذه الجهود في بيان الشمول مفهوماً وتطبيقاً، بدأت الدعوة الإسلامية تخرج من نطاق الموضوعات المحددة في العقائد والعبادات إلى الأخلاق والمعاملات، ومن المساجد في أدائها التقليدي، إلى ساحة الحياة العملية الرحبة، ومن التزام وسائل البلاغ العتيقة إلى التفنن في والوسائل الدعوية الحديثة. وانتقلت الدعوة في أكثر من موقع إلى الأداء المؤسسي الجامع، القائم على اللجان المتخصصة، التي تهتم بالرجال والنساء والأطفال، وتطرح المساعدات المادية والاجتماعية والعائلية للعامة. ولا شك أن انتشار هذه المفاهيم مع هذه التطبيقات العملية في العصر الحاضر، أفاد الدعوة في عدة أشياء. منها:

- جعل الدعوة واقعية فعالة، يجد المدعو فيها حلول اليوم والليلة، ويبني على أسسها مستقبلاً منشوداً.
- أصبحت الدعوة حركة تنافسية ابتكارية منتجة، يشعر الداعي من خلالها بالإثارة والتجديد وضرورة التفاعل.
- فتح مجالات اجتماعية وطرق دعوية مختلفة للتعرف على شرائح من المدعوين ربما لا يتسنى الوصول إليهم عن طريق وسائل الدعوة التقليدية.
- ساعدت هذه المنهجية في إبطال، أو إضعاف شبهات المتطاولين على الدعوة واتهامها بالرجعية والتخلف.

خامساً: المنهج الدعوي التخطيطي

يقصد بالتخطيط في الدعوة، أن تكون حركة الدعوة وفق هدف معلوم، وإجراءات مدروسة، وتقييم دائم يعين على التصحيح والتحسين والدفع إلى التطوير. ولقد ظل هذا المفهوم بعيداً عن ساحة الدعوة وقتاً طويلا، وأصبح أمرها رتيبا مألوفا وفق الموروثات والأعراف السائدة في محيط الدعاة؛ مما تسبب في تأخر الأداء الدعوي عن ركب التقدم الحضاري المعاصر، وجعل الدعاة في بعض القطاعات في صورة لا تليق بمستوى الرسالة. وأعتقد أن الأمر بدأ يتغير شيئاً فشيئاً، ولعل من أهم الأسباب في ذلك هو إلزام كثير من المعاهد الدعوية الدعاة بدراسة السيرة، وخاصة المؤلفات المرتبطة بالتحليلات المعاصرة، فأصبح مفهوم التخطيط للدعوة مألوفا، ومنهجاً معتبراً عند كثير من الدعاة، الذين بدأوا بتحديد هدف مهمتهم وتحقيقه وفق وسائل وأساليب مدروسة، مما دفعهم إلى تشوف مستقبلهم على رؤية واضحة المعالم والخطى. ومن أهم الكتابات المعاصرة التي اهتمت بإبراز أهمية الإدارة والتخطيط في السيرة النبوية كتاب (أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية) فقد اهتم مؤلفه بإبراز جانب الإدارة والتخطيط في حياة النبيﷺ يقول:"وقد كانت حياة رسول الله ﷺ ومراحل سيرته المختلفة تسير وفق خطط مدروسة، مبنية على معرفة الواقع، وتوقع المستقبل والمساهمة في تسيير الأمور حاضرة ومستقبلة. وما سرية الدعوة واختفاء الرسول في دار الأرقم، وأمره أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وعرضه نفسه على القبائل، وهجرته إلى المدينة، وكافة تحركاته إلا وفق خطط مدروسة ومحددة."(٤٠) ولقد كان سعيد حوى أكثر وضوحا في بيان أهمية التخطيط في عملية الدعوة، وأكثر

(٤٠) عبد العزيز العمري، ابعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، ص٣٩.

مباشرة في توجيه الدعاة للأخذ به. يقول عند حديثه عن الهجرة: "إن من تأمل حادثة الهجرة، ورأى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، ومن مقدماتها إلى ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله ﷺ كان قائماً، وأن التخطيط جزء من السنة النبوية، وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم، وأن الذين يميلون إلى العفوية بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليسا من السنة، أمثال هؤلاء مخطئون، ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين."(٤١). وحتى تحقق هذه الجهود الفكرية واقعاً أكثر اتساعاً بين الدعاة في العصر الحاضر، يجب مراعاة الآتي:

- دراسة قواعد التخطيط المعاصرة التي تهتم بتحديد الغاية، ورسم الأهداف، وتقرير الوسائل، وتقييم الأداء.
- البدء بالتخطيط على مستوى أفراد الدعاة، ثم الانتقال إلى مستوى الجماعية والمؤسسية.
- رفض العشوائية والعفوية في الأداء الدعوي، وإن أصابت في مرات، فتخطيط بنتائج محدودة معلومة، خير من عشوائية بنتائج كبيرة غير معلومة.
- التفكير المستقبلي في إضافة مادة التخطيط والإدارة الدعوية إلى مقررات إعداد الدعاة على مستوى الكليات والمعاهد المعنية.

هذه هي بعض المنهجيات الدعوية التي ساهمت كتابات السيرة المعاصرة في إبرازها ودعمها والمساعدة على تطبيقها. ولا أزعم أني قد أحصيتها في هذه الصفحات، أنما هي محاولة أردت من خلالها ربط الدعوة بالسيرة النبوية والتأكيد على أهميتها في رسم

(٤١) سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، ج١،ص٣٥٧.

معالم الدعوة الحديثة وتطوير أدائها. وبالحديث عن هذه المنهجيات الدعوية نأتي إلى خاتمة الدراسة بذكر أهم النتائج والتوصيات.

أهم النتائج:

أولاً: تميز العصر الحاضر بجملة كبيرة من الكتابات حول السيرة النبوية، تنوعت ملامحها من ناحية: الموضوع والفكر، وطريقة العرض. مما جعل موضوع السيرة النبوية من أكثر الموضوعات انتشاراً وأثراً، في محيط المسلمين وغير المسلمين.

ثانياً: أسهمت كتابات السيرة المعاصرة في إنضاج كثير من المناهج الدعوية وتفعيلها على مستوى الدعوة، وبخاصة في محيط الدعاة والمدعوين.

ثالثاً: أعانت كتابات السيرة المعاصرة في جعل مفهوم الإعداد والتربية والتأهيل مرتبطاً بالدعوة والدعاة نظرياً وتطبيقاً.

رابعاً: تأثر كتابات السيرة بفكر كتابها وبخلفياتهم الدعوية لا يقل عن تأثرها بالأحداث والظروف التي يمر بها كاتب السيرة ومحللها.

خامساً: إن قيام الدعوة الحديثة على منهجيات واضحة وموثقة من خلال أحداث السيرة ينقل الدعوة إلى مستوى ألأكاديمي المنشود بين العلوم الشرعية وفروعها.

سادساً: رغم كثرة الكتابات المعاصرة في السيرة، إلا أنه لازال هناك حاجة أكثر لكتابات دعوية في السيرة، يسطرها العاملون في حقل الدعوة، القريبون من واقعها ومشاكلها، المعنيون بحاضرها ومستقبلها.

أهم التوصيات:

١. ضرورة التوسع في الكتابات الموضوعية للسيرة، وربطها باحتياجات الواقع المعاصر، وبخاصة في جانب الدعوة وتحدياتها وسبل تطويرها والنهوض بدعاتها.

٢. لابد من الفصل بين سيرة النبي ﷺ التب تتحدث عن شخصيته وحياته الخاصة وبين مرحلة غزواته، فذلك أنسب في بيان الدعوة وخدمة أهدافها.

٣. ضرورة تطوير وسائل التأليف والكتابة المعاصرة للسيرة بشكل عام، من ناحية التبويب والترتيب والتنسيق، فذلك مما يحقق مصلحة دعوية لها أثرها في التعريف بالنبي ﷺ .

٤. التركيز على جوانب الإعجاز العملي التطبيقي في سيرته ﷺ خاصة فيما يتعلق بجوانب الخُلق، والسياسة وبناء المجتمعات.

٥. تشجيع العنصر النسائي من الباحثات والدارسات للكتابة التحليلية والموضوعية حول سيرة النبي، فللمرأة رؤيتها وتحليلها الخاص للأحداث، فذلك مما يخدم الدعوة الحديثة، التي تضطر في أحيان كثيرة لأن تقف موقف المدافع عن قضايا المرأة.

٦. ضرورة المراجعات والتقييمات الدائمة المستمرة لمنهجيات الدعوة ووسائلها، على معيار السيرة النبوية، فهي التجربة الدعوية الوحيدة التي تتمتع بالمرونة والواقعية الدائمة، دون ارتباط بزمان ولا مكان.

٧. الدعاة إلى الله مطالبون بقراءة السيرة النبوية المعاصرة والاطلاع علي كل ما هو جديد فيها أكثر من غيرهم، وذلك لتطوير أدائهم وللتصدي لمحاولات ليّ النصوص أو تحريفها عند بداية ظهورها.

٨. ضرورة عقد الدورات واللقاءات الجماهيرية العامة حول أحداث سيرة النبي ﷺ ودفع جماهير المدعوين للالتفاف حولها، وإحياء معانيها، والدعوة إليها.

المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم
- أبعاد إدارية واقتصادية واجتماعية وتقنية في السيرة النبوية، عبد العزيز إبراهيم العمري، ط أولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، مكتبة الملك فهد الوطنية.
- الأساس في السنة وفقهها، القسم الأول السيرة النبوية ، سعيد حوى، ج ١ ص ٣٦٥، ط ثالثة، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م، دار السلام.
- الأساس في السنة وفقهها ، القسم الأول السيرة النبوية ، سعيد حوى، ط ثالثة، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥م، دار السلام.
- تذكرة الدعاة، البهي الخولي، دار التراث، ط الثالثة،١٤٠٨ هـ ١٩٨٧م .
- تفسير ابن باديس ، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط أولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ،ط أولى ١٤١٤هـ، مكتبة دار الفيحاء دمشق.
- تهذيب سيرة بن هشام ، عبد السلام هارون، ط الرابعة عشر ١٤٠٦ هـ ، مؤسسة الرسالة.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ط ١٤١٥هـ ١٩٩٥.دار الكتاب المصري.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، تحقيق. محمود الطحان، مكتبة المعارف – الرياض.
- حياة محمد، محمد حسين هيكل ، ط التاسعة عشر، دار المعارف، القاهرة.
- دراسات في السيرة النبوية، حسن مؤنس، ط الثانية، ١٩٨٥م، دار الزهراء للإعلامي العربي، القاهرة.
- دراسة في السيرة، عماد الدين خليل ط الثالثة عشر ١٩٩١ م، دار النفائس، بيروت.
- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي ، ط١٩٦٥، الدار القومية للطباعة والنشر.
- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، رءوف شلبي، مطبعة الفجر الجديد بدون تاريخ.
- الرحمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، راغب السرجاني، بحث مقدم لجائزة معالى السيد حسن عباس الشربتلي، بإشراف رابطة العالم الإسلامي.
- الرسالة المحمدية، السيد سليمان الندوي الحسيني، ط أولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن كثير، دمشق.
- الرسول القائد، محمود شيت خطاب، ط ١٩٦٠، دار مكتبة الحياة.
- سيرة الرسول صورة مقتبسة من القرآن الكريم، محمد دروزة، المكتبة العصرية بيروت.
- السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة، محمد فريد وجدي، ط أولى ١٩٩٣، الدار

- سيرة المصطفى، هاشم معروف الحسيني ، ط ١٩٨١ دار القلم، بيروت.
- السيرة النبوية الصحيحة ،أكرم العمري، ط السادسة ١٤١٥هـ ، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة.
- السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، صالح أحمد الشامي، ط أولى، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، المكتب الإسلامي.
- السيرة النبوية دراسة تحليلية، محمد أبو فارس، ط الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن.
- السيرة النبوية دروس وعبر ، مصطفى السباعي ،ط الثامنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥ م المكتب الإسلامي بيروت.
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، علي الصلابي، ط ٧ ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م دار المعرفة بيروت لبنان.
- السيرة النبوية في القرآن الكريم ، عبد الصبور مرزوق، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله، ط أولى ١٤١٢ هـ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد غلوش، ط أولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، مؤسسة الرسالة.
- صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي ، ط أولى ١٤١٥ هـ ، دار النفائس الأردن.

- صحيح السيرة النبوية، ناصر الألباني، ط الأولى، المكتبة الإسلامية، عمان الأردن.
- العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية، أبو الحسن الندوي ،ط الثانية، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، دار القلم بيروت.
- غزوة بدر الكبرى، محمد باشميل، ط السادسة ١٣٩٤هـ ،دار الفكر.
- فتح القدير، الشوكاني، عالم الكتب.
- فقه السيرة ، محمد سعيد البوطي، ط ١٤١٠هـ ١٩٩٠م دار الفكر.
- فقه السيرة، محمد الغزالي، ط الثانية، دار الدعوة للطبع والنشر، الإسكندرية.
- القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، محمد الطيب النجار، دار الندوة الجديدة بيروت، لبنان. مصدر الكتاب: موقع مكتبة المدينة الرقمية، http://www.raqamiya.org
- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، محمد العوشن، دار طيبة.
- المجتمع المدني في عهد النبوة، أكرم العمري، ط أولى ١٤٠٤هـ ١٩٨٩م.
- المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، ط أولى،١٤١١هـ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية ، بيروت ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا.
- المنهج التربوي للسيرة النبوية، منير الغضبان، مطبعة دار الوفاء.
- المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير الغضبان، ط السادسة، ط ١٤١١هـ ١٩٩٠م مكتبة المنار الأردن.
- النور الخالد محمد صلى الله عليه وسلم مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كولن، ط أولي ١٩٩٩، دار النيل مؤسسة الرسالة.

- نور اليقين في سيرة خير المرسلين ، محمد الخضري، ط أولى ١٤٢٥ هـ ، دار المعرفة، بيروت –لبنان.
- الهجرة النبوية المباركة، عبد الرحمن البر، ط أولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، دار الكلمة، المنصورة ،مصر.
- وقفات تربوية من السيرة النبوية ،عبد الحميد البلالي، ط أولى ١٤٠٨ هـ، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت .